بغداد ما أشتبكت عليك الأعصر إلا ذوت ووريق عمرك أخضر

مصطفى جمال الدين

احتفلت أمانة بغداد بـ(يوم بغداد) صباح أمس في متنزه الزوراء، وحضر الاحتفالية عدد من أعضاء مجلس النواب وأمين بغداد الدكتور صابر العيساوي وعدد من السفراء ووكلاء الوزارات والدكتور تحسين الشيخلي الناطق المدني لخطة فرض القانون وقائد عمليات الكرخ الفريق أول الركن علي طاهر الموسوي ونخبة من الفنانين والمغتربين والرواد، الى جانب الشخصيات المهتمة بالتراث والتاريخ وعشاق بغداد الحضارة، وعدد كبير من الفضائيات الأجنبية والمحلية ومراسلي الصحف العراقية.

بغداد / سها الشيخلي.... تصوير / أدهم يوسف

وسط مباهج الفرح بالانفراج السياسي.. بغداد تحتفل بعيدها السنوي

منهاج الاحتفال

وجرى الاحتفال بيوم بغداد في أجواء مفعمة بالفرح وبما يتناسب ومكانة بغداد حاضرة الدنيا وعروس المدن.. بغداد الحضارة والفن والعلم والأدب.. بغداد التي تغنى بها الشعراء والسمار.. بغداد الحبيبة التي لا تنحني للدكتاتورية.. وبقيت زاهية برغم عاديات الزمن وبرغم المحن التي مرت عليها في مختلف العصور والأزمان.

كان منهاج الاحتفال زاخراً بالفقرات المنوعة، حيث ابتدأ بعزف السلام الجمهوري، ثم قراءة سورة الفاتحة على أرواح شهداء الوطن.

كلمة أمين بغداد

ثم ألقى أمين بغداد الدكتور صابر العيساوي كلمة بالمناسبة نقل في مستهلها تحيات رئيس الجمهورية جلال طالباني ورئيس الوزراء نوري المالكي واعتذارهما عن الحضور لالتزامهما باجتماع مهم وجاء في الكلمة:

– يشرفني أن أرحب بكم بهذه المناسبة التي نحتفل بها كل عام بيوم بغداد، ونستذكر في هذا اليوم بغداد منارة العلم والحضارة.. بغداد العزيزة الغالية والحبيبة في قلوب كل العراقيين.

وأضاف: ان مناسبة يوم بغداد هي مناسبة لشد اللحمة بين العراقيين ويدعونا لمواصلة بناء العراق الجديد، وفي هذا اليوم نعقد اجتماعات سياسية عدة نأمل ان تتبلور بولادة حكومة عراقية قوية، بعد ان نجحت في بناء عراق قوي، مشيراً الى عدد من المشاريع التي تضطلع بها الأمانة لتطوير بغداد بعد سنوات الإهمال السابقة، قائلاً: لابد من الإشارة الى ان عاصمتنا بغداد الحبيبة تغذ السير للبناء والاعمار واستقبال الحدث الكبير في انعقاد القمة العربية، حيث تتولى بغداد مهمة عقد هذا الاجتماع التاريخي المهم.

وكرر أمين بغداد ترحيبه بالحضور متمنياً ان تنال إعجابهم أجنحته العديدة التي تم إعدادها، ومنها جناح شوارع بغداد، موضحاً: ان الاحتفال بهذه المناسبة في هذا التاريخ بالذات ١١/١٣ جاء بعد ان كان الاحتفال السنوي يجري بتاريخ ١١/١٥ من كل عام، وذلك لقرب موعد عيد الأضحى المبارك.

وأشار الى ان الأمانة بادرت بالاحتفاء بالفنانين العراقيين المغتربين، إضافة الى فنانين من داخل العراق.. فهكذا هي بغداد الأم الرؤوم.. ودمتم في عز وكل عام وبغداد وأنتم بألف خير.

وضمن المنهج المعد لهذه الاحتفالية تقدم شيخ المؤرخين الدكتور حسين أمين ليلقي كلمته بهذه المناسبة والذي قال فيها:

– ان احتفال الأمانة بصورة خاصة بمدينة بغداد لتميزها، فهي المدينة المجيدة.. بغداد هي حاضرة الدنيا وتحفة التاريخ وصفوة المدن.. بغداد عاصمة المسلمين كافة في العصور الوسطى، فقد تجولت بحمد الله مشرقاً ومغرباً، فلم أجد مثل نكهة بغداد ولا نسيماً كنسيم بغداد ولا ماءً معطر كماء دجلة والفرات.

وأضاف: تميزت بغداد في العالم أجمع، ففيها انشئ أول مصنع للنسيج في محلة تعرف بـ(العتابية) كان يصنع فيه نسيج من القطن والحرير وهو أفخر ما زهت به العالم، ومحلة العتابية تقع في الجانب الغربي من بغداد، في شمال غرب مسجد براثا الحالي، كما أنشئت فيها أول مدرسة منظمة هي المدرسة النظامية، ومن بعدها أنشئت المدرسة المستنصرية الشهيرة وأول مدرسة للطب وكانت ملتحقة بالمدرسة المستنصرية ومكانها أحد أواوين هذه المدرسة وما زالت تذكرنا بمجد بغداد.

وقال: في بغداد أقام الخوارزمي وألف كتاب الجبر وهو الذي أسس علم الجبر، وفي بغداد ظهر أعظم طبيب في الإسلام هو الرازي الذي كان رئيس أطباء بغداد.. بغداد لها أولويات كثيرة منها القصور الفخمة والجسور الموصلة بين جانبيها، وبغداد كلما سئلت عنها في أوروبا او أمريكا أجبت ان بغداد هي تحفة الدنيا وذاكرة التاريخ، وان الأوروبيين يعرفون الكثير عن بغداد، وكلهم يعرفون قصة ألف ليلة وليلة التي مجدت بغداد.

واستدرك مؤرخ بغداد قائلاً:

– فاتني ان أقول لكم ان في بغداد أول مجمع علمي هو (بيت الحكمة) الذي كان نبراساً للثقافة، فالحديث عن بغداد حديث طويل وان تاريخها زاهر وشيق.

بعد ذلك أشار الزميل عادل العرداوي عريف الحفل، الى ان احتفالات كبرى ستجري في المجالس الأدبية احتفالاً بيوم بغداد.

بعدها عرض فيلم وثائقي عن بغداد عكس صوراً مختلفة عن بغداد في حقب زمنية مختلفة بشوارعها وأسوارها القديمة ومنها الباب الوسطاني وأثارها ومساجدها القديمة في جانبيها، الرصافة والكرخ، ثم تم عرض عن بغداد في الوقت الحاضر والحياة العامة فيها والقبور الجماعية والشناشيل البغدادية والبساتين ونهر دجلة الخالد.

وقدم أطفال روضة الجنائن فعاليات لاقت استحسان الحضور، ثم تقدم أمين بغداد لتكريم عدد من الفنانين الرواد بوشاح بغداد، واختتم الحفل بعزف السلام الجمهوري.

شارع المشاهير

وفي لقاء لـ(المدى) مع مدير عام العلاقات والإعلام في أمانة بغداد حكيم عبد الزهرة بهذه المناسبة يحدثنا عن هذه الاحتفالية الكبيرة وابرز فقرات الاحتفال، حيث قال:

– كثفت علامات أمانة بغداد جهودها لإقامة شارع (للمشاهير) يضم أكثر من (٢٠) شخصية عراقية في مجالات السياسة والأدب والفن والفكر والشعر والرياضة يقوم بتجسيد أدوارها طلبة أكاديمية الفنون الجملية الذين تدربوا لأداء مشاهد قصيرة تعرف بشخصية كل منهم وإقامة سوق تراثي بغدادي يضم أكثر من (٢٥) مشهداً لمهنة وحرفة تراثية تم اختيارها من المهن الشعبية التي كانت سائدة أيام زمان إضافة إلى إقامة شارع يسمى بشارع الثقافة تضمن عدداً من الرسامين وبائعي الصحف والمقهى البغدادي وغيرها من المشاهد الثقافية الأخرى بالتنسيق مع قسم الشؤون السياحية والمتحف البغدادي.

وأضاف: لقد واصلت دائرة المشاتل والمتنزهات والدوائر البلدية تحضيراتها خلال عدة أيام لتهيئة مكان الاحتفال وتنظيم أجنحتها الزراعية وزراعتها بأنواع عدة من الزهور. وقد وجهت الأمانة دعوة لعدد من الفنانين في هذه المناسبة المغتربين منهم والمتواجدين في بغداد للحضور إلى الاحتفال من أبرزهم الفنان كاظم الساهر، وفؤاد سالم، وأنوار عبد الوهاب، وسيتا هوكبيان، وبهجت الجبوري، وحامد المالكي، وياس خضر، ويوسف العاني، وسامي قفطان، وطه علوان، ومكي عواد، وإسماعيل الفروجي، ورائد جورج، والهام المدفعي، ومقداد مسلم، ومحمود أبو العباس، وفيصل الياسري، وهند كامل، وغازي الكناني، ونزار السامرائي، وان عدداً كبيراً من هؤلاء الفنانين ابدوا رغبتهم بالحضور والمشاركة في احتفالات بغداد، مثمنين هذه المبادرة التي تدل على حرص الأمانة على دعم الفنانين العراقيين وتشجيعهم على مواصلة عطائهم ومسيرتهم الفنية

وفي ختام حديثه أوضح عبد الزهرة ان الأمانة تحتفل كل عام بيوم بغداد تخلد لبغداد العريقة صاحبة الإرث الحضاري وأسهمت في انجاب العلماء والمثقفين والأدباء والشعراء الذين اغنوا العالم اجمع بالمعارف والعلوم. وسوف تستمر الاحتفالية عدة أيام.

لقاءات على هامش الاحتفالية

وقد التقت (المدى) بعدد من المؤرخين الذين عشقوا بغداد، وبالفنانين الذين أحبوها ليتحدثوا عن انطباعاتهم عن هذه الاحتفالية الكبرى، حيث قال العلامة المؤرخ الدكتور حسين أمين:

– جميل ان يحتفل الأبناء البررة بأم الدنيا.. أمهم بغداد الحبيبة.. ان هذه الاحتفالية تسعدنا جميعاً نحن عشاق بغداد. الذي قال عنها الشاعر نزار قباني:

لا تظلمي وتر الربابة في يدي
فالشوق اكبر من يدي وربابي
قبل اللقاء الحلو كنت حبيبتي
وحبيبتي تبقين بعد ذهابي

أما المؤرخ سالم الآلوسي فقد قال:

– بغداد قبلة العالم وعروس الدنيا.. في يومها تصدح الموسيقى وتغني الطيور.. وتغمر القلب المتعب الفرحة لها مني أعطر التحيات في هذا اليوم وفي كل يوم.

وتحدث إلينا من الفنانين الرواد محسن العزاوي الذي قال: توحد جميل بين الطبيعة وبغداد حيث تلبس بغداد حلتها الجديدة،وأن التفاتة أمانة بغداد إلى الفنانين بهذه المناسبة خطوة جميلة تدل على قوة الأواصر والوشائج التي تربط الفن والفنانين ببغداد وأهلها.. وهذه الخطوة هي اعتراف جميل من الأمانة بالفنان العراقي ودوره ووضعه كقيمة حقيقية للوطن.

ومن شارع المشاهير الذي جسد مجموعة من الشعراء منهم جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب والملا عبود الكرخي..التي جسدتها مجموعة من طلبة كلية الفنون الجميلة فكانت لنا هذه الوقفة مع الطالب جواد الرميثي الذي جسد شخصية الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي وكان يرتدي العقال (المكعب) والعباءة والكوفية ذات اللون الأصفر فقال: أنا أحب الشاعر الملا عبود الكرخي لأنه شخصية وطنية تاريخية وهو صاحب أشهر قصيدة تتحدث عن لسان امرأة مظلومة هي قصيدة المجرشة (ذبيت روحي على الجرش وأدري الجرش ياذيها..ساعة لكسر المجرشة والعن أبو راعيها).

شخصية الكاتب الكبير جلال الحنفي جسدها أبنه واعية حيث قال: والدي من عشاق بغداد درس في كتاتيبها وأحبها حد العشق،وكان في كل سفراته يتصل بنا ويسأل عن بغداد..سافرت معه عندما كان في الصين لفترة طويلة،وعندما رجعت إلى بغداد لم اعرف الحديث باللغة العربية ذلك لأنني نشأت في الصين بعيداً عن بغداد،فكان حب هذه المدينة أول دافع لإتقان الحديث بالعربية، كانت بغداد مسكونة في قلب ووجدان والدي رحمه الله.

الشخصيات التاريخية

وجسد طلبة كلية الفنون الجميلة شخصيات أخرى من تاريخ العراق منها:

× شخصية تمثل العصر البابلي
× شخصية تمثل العصر السومري
× شخصية تمثل العصر الآشوري
× شخصية تمثل العصر الإسلامي

وقال لنا منظم ومعد تلك الشخصيات حسين علي هارف:

– مرت على بغداد عصور عديدة.. وكان لكل منها ميزاته،إلا أن الأصالة والرقي ما جمع تلك العصور إضافة إلى الاهتمام بالحياة الثقافية والاجتماعية.

وكان الطلبة يرتدون ملابس لتلك العصور المطرزة والمزخرفة مع أغطية الرأس الملونة التي تجسد تراث كل عصر.
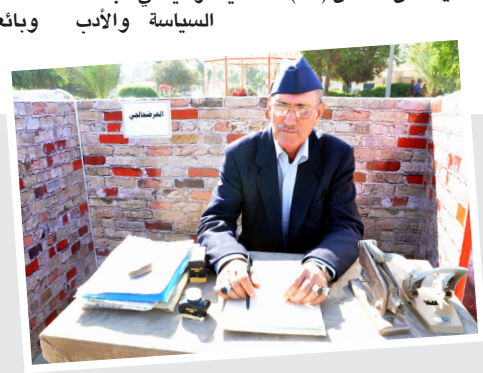
تحدث الينا الطالب الذي جسد شخصية الجندي السومري فقال كان لملوك وأمراء سومرالتي سكنت المنطقة الجنوبية من العراق اهتمام خاص بالفن والشعر و(بلاد سومر) أولى المدن التي شيدت في منطقة الشرق الأدنى القديم وقد عرفت بحضارتها ورقيها وخاصة في عهد سلالة أور الثالثة التي لا تزال زقورتها شاخصة في محافظة الناصرية.